07- دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في النمو النفسي الاجتماعي للأبناء

أ.م.د. علي البو محمد كلية التربية - جامعة ميسان- العراق

مشكلة البحث و أهميته :-

تعد عملية التنشئة الاجتماعية socialization عملية هامة في حياة الإنسان ، إذ يمكن من خلالها أن يكتسب الأفراد القيم والاتجاهات والمعايير والسلوكيات التي تتماشى مع المجتمع والثقافة التي يعيش فيها . وتعد الأسرة إحدى المؤسسات الرئيسة التي تعنى بعملية تنشئة الأبناء ، حيث يمارس الوالدان دورهما التربوي من اجل إكساب الأبناء الدوافع والقيم والاتجاهات التي يسعى إليها المجتمع وتتقبلها الثقافة الفرعية التي ينتمون إليها (إسماعيل ،1986 ،ص270) . و في هذا السياق هناك ثلاث وسائل تعد الوسائل الرئيسة التي تتم من خلالها عملية التنشئة الاجتماعية ألا وهي : المكافآت والعقوبات ، فالتعلم بالملاحظة أو التقليد ، ثم التوحد أو التقمص . فنجد أن الآباء في بداية الأمر يعمدون إلى تدريب أبنائهم عن طريق إثابة أو تدعيم استجابات معينة ومعاقبة استجابات أخرى الأمر الذي يجعل الاستجابات التي تثاب تزداد قوة وتكراراً ، أما الاستجابات التي تعاقب فإنها تصبح اقل قوة ولا تظهر إلا قليلاً أو تختفي ، وكثيراً ما يستخدم الآباء هذا المنهج في تدريب أبنائهم على أنواع السلوك الاجتماعي وإكسابهم القيم المقبولة اجتماعياً (مسن وآخرون، 1986 ، ص260) . ففي مرحلة الطفولة المبكرة يبدأ الأطفال تعلم المعايير الخلقية والتحريمات ، وهذا التعلم هو جزء من تلك العملية التي يسميها أصحاب نظرية التحليل النفسي بتطور نمو الذات العليا Development Super ego ،وتشير المعايير الخلقية إلى المقبول والمرذول في مجتمع الطفل والى الأوامر و النواهي ، ولابد للطفل أن يتعلم ، من بين ما ينبغي له أن يتعلمه ، أن يقول الصدق ، وان يكف العدوان أو التدمير ، وان يعف نفسه ، وان يطيع والديه .

ويعد اكتساب الضمير خطوة هامة جداً في نشأة المعايير الخلقية ، ذلك أن الطفل في سن الثانية من العمر إذا أساء التصرف يحتمل له أن يخبر الخوف أو القلق من مصدر العقاب الخارجي أو الإنكار المؤقت من جانب الأم .لكن الطفل في الرابعة من العمر حينما يسيء التصرف فإنه في هذا العمر سوف يخبر نوعاً أخر مختلفاً من المشاعر السلبية بعد التصرف الخاطئ ، نوعاً لا يكون مرتبطاً بمصدر العقاب الخارجي ،أنه يخبر الإحساس بالآثم ،وهذا معناه أن تغيراً هاماً قد حصل في الحياة العقلية للطفل . كما أن مصدر القلق الذي يكف الفعل الا اجتماعي لابد أن يأتي من الداخل

(أي من الشعور بالإثم) عند الطفل الذي حسن تطبيعه اجتماعياً بدلاً من أن يأتي من الخارج كما هو الحال عند الخوف من الضرب .

كما أن التعلم بالملاحظة أو التقليد هو احد الوسائل التي تكون مسئولة عن اكتساب الأبناء للقيم في عملية التنشئة الاجتماعية، إذ أن للوالدين، كما هو متوقع تأثير قوي على نشأة السلوك الاجتماعي . حيث يوفر الآباء القدوة أو الأنموذج للطفل ، فإن كان الآباء من النوع العطوف ، كان الاحتمال قويا في أن الطفل سيلاحظ هذه الخصائص ويعمل على اكتسابها . وتوفير القدوة أمر فعال كذلك في التشجيع على الإيثار ، وأكثر القدوة فعالية وأثراً هو أن يتصف الكبار بالدفء والحنان وان تتحقق في أنفسهم صفة الإيثار (مسن ، وآخرون ، 1986 ، ص 294. 295) . لذا يمكن أن يقدم الآباء القدوة الحسنة أو القدوة السيئة لأبنائهم ، حيث يتخذ الأبناء من الآباء المثل الذي يقتدى به ، ويكون الآباء قدوة حسنه أمام الأبناء من حيث الاستقامة والصدق و الامانه والقيم الأخلاقية الحسنة ، أو يكونوا قدوة سيئة أمام أبنائهم فيتعلم الأبناء من آباءهم القيم والعادات السيئة .

أما عملية التوحد أو التقمص فإنها تنطوي على ما هو اكبر من مجرد التعلم بالملاحظة أو التقليد . فالتعلم عن طريق الملاحظة لايتطلب ارتباطاً عاطفياً بالأنموذج كما هو الحال في التقمص ، كذلك نجد أن التوحد عملية أكثر دقة وتعقيداً من

التقليد ،فقد نجد طفله في الرابعة من العمر تبدأ بطريقة لاشعورية في اكتساب النمط الكلي من صفات شخصية وقيم تكون موجودة عند ولدتها ، و أن تقمص الطفل للوالد قد يكون مصدر للطمأنينة والأمن بالنسبة للطفل ، لان الطفل قد يشعر عند إثابته بأنه قد اكتسب وستدمج في نفسه قوة أو كفاءة الوالد . وتقمص الطفل للوالد الحاني قد يكون مصدر للمتعة والإشباع. وتوضح دراسات كثيرة بان اكتساب الطفل لقيم الآباء ومعاييرهم يزداد كلما توفر دفء الوالدين وحبهم له ، وان هذا الأمر يبدو معقولا إن أدركنا أن نشأة الضمير تتضمن عملية تقمص الوالدين ، لذا فإن التزام الطفل بالقيم يعتمد على قوة تقمص الوالدين أو التوحد معهم واحتمال شعوره بالإثم عند مخالفته لهذه المعايير (مسن وآخرون ،1986 ،ص 292) .

هذا من ناحية الطرق أو الوسائل التي يعتمدها الوالدين في تربية الأبناء ، أما من ناحية الأساليب التي يتبناها الوالدان في تنشئة الأبناء ، فهي متعددة ومتنوعة ، ألا أن التصنيف الأكثر شيوعا في الأدبيات والدراسات ضمن هذا المجال هو التصنيف الثلاثي الذي وضعته عالمة النفس ديانا بومريند Diana Baumarind التي قسمت بمقتضاه أساليب الرعاية الوالدية إلى ثلاثة أنواع هي : الأسلوب الديمقراطي أو الحازم Authoritative Style والأسلوب التسلطي Authoritarian Style والأسلوب المتساهل Permissive Style. وتشير الأدبيات والدراسات إلى أن الوالدين اللذين يتبعان أسلوب الحزم في رعاية الأبناء ، يكونان على مستوى عالي من الاهتمام والمشاركة الفاعلة في حياة الأبناء ، وعلى مستوى عالي من الاتصال الحر أو الصريح أو المنفتح ، وعلى درجة عالية من المراقبة الوالدية العالية والمحكمة والمتضمنة معرفة أماكن تواجد الأبناء ، وبرفقة مَن ، ومالذي يفعلوه (Aunola , 2000 ,P.204) . كما يشجعون أبناءهم على الاشتراك في اتخاذ القرارات الأسرية (مسن ،1986،ص468) .فضلاً عن أنهم يحترمون المعرفة ويشجعون أبنائهم على حب الاستطلاع الفكري وعلى العمل الدراسي الجاد (Muzi, 2000, P. 503) .

و يرى الباحث في هذه الممارسات الوالدية التربوية تأكيد الوالدين على القيم الاجتماعية و القيم العلمية وهذا ما يمكن أن يكون له انعكاسات و آثار على سلوك الأبناء واتجاهاتهم وقيمهم . فنجد أن أمثال هؤلاء الآباء الحازمين الذين يتبعون مع أبنائهم مثل هذه الممارسات التربوية إنهم بذلك ينمون في أبنائهم صفات الثقة بالنفس وحسن تقدير الذات وروح الاستقلالية (مسن وآخرون ، 1986، ص469) . والتألق الدراسي أو الأكاديمي (Bee ,2000,P. 386) . والتكيف المدرسي(Aunola et al .2000,P. 207) . فضلا عن أن أبناء مثل هؤلاء الآباء يميلون أن يكونوا ضابطين للذات disciplined-Self وقادرين على الاستجابة بشكل اجتماعي مع الآخرين ، (Muzi . 2000,P.314) . واقل احتمالاً من الوقوع في المشكلات مقارنة بأقرانهم في الأسر التي تتبع الأساليب الأخرى (.Lamborn . 1991,P. 1062) .

في حين نجد أن الآباء الذين يتبعون الأسلوب التسلطي فإنهم يأمرون الطفل بأن يفعل أمراً محدداً دون تفسير الأسباب ، ويواجهون كل محاولة من محاولات الاحتجاج أو الاعتراض التي تصدر عن الطفل بالعقاب والشدة . وان المناقشة أو الحوار بين الطفل والآباء في ظل هذا الأسلوب لا تلقى شيئاً من التشجيع . وهم بذلك أي الآباء التسلطيون يشجعون أبناءهم من خلال تعاملهم هذا على التمرد والاستياء ، وتنتهي المراهقة بالأبناء فيكونون مفتقرين إلى الثقة بالنفس والى تقدير الذات وتوقيرها ، كما يصبحون غير قادرين على الاعتماد على ذواتهم وعلى التصرف المستقل ، كما أن شعورهم يكون اقرب إلى الإحساس بأنهم غير مرغوب فيهم لا من الآباء ولا من الأمهات ، فضلاً عن ذلك ، فإن مثل هؤلاء الأبناء يكونون خجولين ، ويواجهون المصاعب في التعامل مع الإقران (مسن وآخرون 1986 ، ص 362. 470) .

يضاف إلى أن استخدام الآباء للسيطرة المفرطة يرتبط باستسلام الأبناء ، وقلة اهتمامهم بالمدرسة (Aunola ,P.207) 2000 , ويكونون اقل مهارةٍ مع الإقران عن أطفال الأسر التي تتبع الأساليب الأخرى (Bee , 2000,P. 386) .

أما الآباء المتسامحين أو المتساهلين permissive parents فهم الآباء الذين يتركون الحبل على الغارب والذين لا يزودون الطفل بالمساندة والتأييد التي يحتاج لها الأبناء أثناء المراهقة ، إذ نجد أن مثل هؤلاء الآباء لا يأمرون الطفل باكتساب السلوك الناضج ، بل يسمحون له بالتصرف ذاتياً وبشكل مستقل (Aunola et al .2000,P. 207) . وان قواعد

التربية في مثل هذا الأسلوب لاتبلغ بشكل واضح أو بالفرض ، لذا فإن أطفال الآباء المتساهلين يميلون أن يكونوا اندفاعيين ، دون هدف ، ويفتقرون إلى ضبط الذات ، وهم غالباً غير ناضجين ، مفسدين spoiled ، وعديمو ا الاحترام للكبار(Muzi 314. P, 2000,) . ويحتمل أن يكونوا أكثر عدوانيه وخصوصاً أذا كان أبائهم متسامحين تجاه عدوانيتهم ، ويحتمل لهم أن يكونوا اقل تحملاً للمسؤولية واقل استقلاليه (Bee , 2000,P. 386) .

كما أن المراهقين من أبناء هذه الأسر ينفصلون عن الدراسة بشكل نسبي،ويساهمون بتكرار أكثر في سلوكيات منحرفة محددة كالتصرفات السيئة في المدرسة وتناول الكحول وتعاطي المخدرات (Lamborn ,1991,P .1062) . هذا وقد كشفت عدة دراسات حديثة بأن شدة التعرض لتعاطي المخدرات وغير ذلك من صور السلوك المنحرف أو غير المقبول اجتماعيا أنما تكون أكثر شيوعاً بين المراهقين الذين يكون آبائهم من النوع الذي يعبرون في ظاهر الأمر من أن القيم التي يرتضونها لأنفسهم وأبنائهم هي قيم الفردية والاستقلالية ، والحاجة إلى التساوي بين أفراد الأسرة ، إلا أنهم في حقيقة الأمر يختفون وراء هذه الإدعاءات هرباً من تحمل المسؤوليات الوالدية ، أو قد يفعلون ذلك بسبب حيرتهم وعدم ثقتهم بآرائهم حول الكيفية التي يتعاملون بها مع أبنائهم ، وهذا ما يحرم الأبناء مما هم بأمس الحاجة إليه من توجيه ورعاية والدية ، وهو يقدم الآباء الأنموذج لسلوك الراشد الناجح المستقل الذي يعمل على مواجهة المشكلات وحلها (مسن وآخرون ، 1986 ، ص 471.472) .والظاهر أن الآباء في مجتمعاتنا المعاصرة يواجهون مشكلة دقيقة هي ضرورة التوسط في مسارهم بين طرف مرذول و له نتائج سلبية وهو الأسلوب التسلطي من ناحية ،وطرف آخر مرذول و له نتائج سلبية أيضا ألا وهو أسلوب التساهل أو الإهمال من ناحية أخرى ، ولو تمكن الآباء من تحقيق التوازن الصحيح لجاءت النتائج ايجابية بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع (مسن وآخرون ، 1986 ، ص 472) . إلا أن المخيف في الأمر هو أن العديد من الأسر في مجتمعنا تتبع أساليب الرعاية الوالدية السيئة ، فالأسرة العربية و حسبما يرى بركات 1984 هي متهمة في أساليب تنشئتها للطفل العربي إذ أنها تتبع العقاب البدني ، و التهديد ، و القمع السلطوي ،وهناك من يدعم ذلك إذ يرى مصطفى حجازي 1989 بأن الطفل العربي يعيش في عالم من العنف المفروض داخل الأسرة ، كما ويشير كل من كامل و الخولي إلى أن الأسرة العربية تعاني السلطة الأبوية الصارمة (صالح ،2002 ،ص4). لذا جاء هذا البحث ليؤكد خطورة هذا الأمر وأن أتباع أساليب الرعاية الوالدية الخاطئة التي قد يتبعها العديد من الآباء نتيجة عوامل عديدة من قبيل تدن المستوى الثقافي أو التعليمي للوالدين ،أو تدن المستوى الاقتصادي و زيادة ساعات عمل الوالدين ،أو المشكلات النفسية و الاجتماعية التي يعاني منها الآباء ، إلى غير ذلك مما قد تنعكس على المناخ الأسري ومن ثم على طريقة تعامل الوالدين مع الأبناء و هذا ما قد يترك آثار سلبية خطيرة على حياة الفرد و المجتمع تتضح ملامحها في سؤ التكيف الشخصي و الاجتماعي ،واللوان السلوكيات المضادة للمجتمع التي تفتك بالمجتمع و أبناءه و تعكر أمنه واستقراره وتعرقل تقدمه و ازدهاره .

هدف البحث :-

يهدف البحث الحالي إلى معرفة دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في النمو النفسي الاجتماعية للأبناء .

حدود البحث :-

يتحدد البحث الحالي بنتائج الدراسات النفسية و الاجتماعية النظرية و الميدانية التي أجريت في عدد من المجتمعات العربية و الأجنبية بخصوص (الأسرة) بوصفها مصدر من مصادر بناء شخصية الفرد و تشكيل قيمه .

الأطر النظرية

1- نظرية التحليل النفسي :.

ركز عالم النفس سيغموند فرويد Freud على العوامل التكوينية و على الطفولة المبكرة بوصفها عوامل محددة للشخصية (هول ولندزي ، 1969 ،ص 163) . وأشار إلى أن الشخصية الإنسانية لها مكونات ثلاث تتمثل في الـ ID أو الهو ، والـ Egoأو الذات ، والـ Super Ego أو الأنا الأعلى، فالهو هو منبع الغرائز ويعمل بمبداء اللذة ، و الأنا أو الذات فهي الذات العاقلة

التي تعمل بمبداء الواقع ،أما الأنا الأعلى فهو الجزء الأرق والمستمد طاقته ومحتوياته من المثل والتقاليد والأخلاق والمبادئ السامية (الدباغ ، 1983،ص100) .

ويؤكد فرويد في تشكيل الضمير الإنساني أو الأنا الأعلى على عملية التوحد أو التقمص خاصة مع الوالدين أو الكبار (منصور وبشاي ،1983 ، ص100) . حيث يرى أصحاب هذه النظرية بأن الأطفال يولدون حيوانات أنانية إذ يقوم الهو بتوجيههم والتحكم فيهم ومن ثم فإن التخلي عن الدوافع البدائية والسيطرة عليها ودفعها للتسامي وجعلها ذات قيمه اجتماعية كبيرة يشكل ركيزة أساسية لأخلاق الفرد (عباس ، 1988،ص128).

وطبقاً لهذه النظرية ، فإن الضمير يتكون خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل ، إذ يبدأ الطفل لاشعورياً بالتوحد مع الوالد المماثل له في الجنس ، بقصد استدخال معاييره وقيمه ، أي بمعنى استدخال القيم والمعايير المقبولة التي يؤكد عليها الوالد ومحاولة نبذ غير المقبول منها التي تتضمن الأنماط السلوكية المحرمة والممنوعة (حسن ،2001،ص190) . لذا فإن الأطفال وخاصة خلال سنوات ما قبل المدرسة وعن طريق تقمص الوالدين ومحاولة التشبه بهم ، يكتسبون ما عند الوالدين من قيم واتجاهات ومعايير للسلوك (مسن وآخرون ،1986، ص291) .

ومن جملة العوامل التي تدفع بالأبناء إلى تقمص الآباء أو التوحد معهم هو أن يكون الآباء من النوع الحاني الدافئ المحب وذا الكفاءة لا العكس من ذلك (مسن وآخرون ،1986، ص 265) .

وفي ضوء ما تقدم نستنتج أن هذه الخصائص يتسم بها الوالدين الحازمين اللذان يتميزان بهذه الصفات عن غيرهم من الآباء كالمتسلطين من الآباء مثلاً أو المتساهلين .

2- نظرية التعلم بالملاحظة :.

يرى أصحاب هذه النظرية أن السلوك الإنساني يكتسب بفعل المشاهدة او الملاحظة ، وان معظم الاتجاهات والمعايير تكتسب عن طريق الأنموذج ، وهذا يتطلب أن يكون هناك أنموذج لكي يتم من خلاله نمذجة النمط السلوكي (حسن ، 2001 ، ص190) . ولذلك يشير باندورا 1977 Bandura إلى أن الرعاية الوالدية الحازمة والسلوك المعقول يمكن أن يقدم كأنموذج للطفل (Chen et al . 1997 p. 856) . وان تقديم الأنموذج يعد آمر فعال في التشجيع على السلوك الاجتماعي ،وأكثر القدوة فعالية هو عندما يتصف الأنموذج بالدفء والحنان وان تتوافر فيه صفات ذلك السلوك . وترتبط عملية التعلم بالملاحظة مع ما يقوم به الوالد من تدعيم للاستجابات الصحيحة ومعاقبة للاستجابات الخاطئة (مسن وآخرون ،1986 ، ص295.205) . ويشير كل من ماكورود و باندورا وولترز 1959 وباندورا Bandura & Walters , Moocord إلى أن عدم الاتساق في معاملة الأبناء من قبل والديهم يجعل سلوك الأبناء يتسم بسوء التوافق والتضاد مع المجتمع (العطار،1995،ص56).

فضلاً عما أشارت إليه دراسات كل من باندورا Bandura 1962 وباندورا وولترز1963 Bandura &Walters إلى وجود علاقة واضحة بين أساليب التنشئة الاجتماعية القائمة على عدم الحكمة ، وعدم الاتساق ، وعدم الموازنة في نظام الإثابة والعقاب ، والتذبذب في تقديم الأنموذج الوالدي المثالي وغير ذلك ، وبين نقص القدرة على مقاومة الإغراءات وضعف قوة الأنا والانا الأعلى (منصور وبشاي ، 1983 ،ص14).

وللأنموذج في سياق هذه النظرية أهمية خاصة في تكوين الضبط الذاتي ،وفي تعلم القيم ، فالفرد في نظرهم يتعلم الكثير من خلال ما يراه من نماذج حية أو رمزية خاصة أذا اقترن سلوك هذا النموذج بنتائج معززة ، فمشاهدة الفرد لأنموذج أثيب أو عوقب على القيام بسلوك ما يخلق توقعاً لدى هذا الملاحظ بان قيامة بسلوك مشابه لسلوك الأنموذج سيجلب له نتائج مماثلة أذا قام بتقليده ، وبذلك يتجنب النتائج المؤلمة كعدم رضا الجماعة او لومها له(Hjelle & Ziejler,1991,p.88)

وهكذا يرى أصحاب هذه النظرية أن القيم السلبية أو غير المقبولة اجتماعياً يتم

تعلمها من خلال الخبرة المباشرة أو نتيجة التعرض إلى نماذج سلبية أو غير مناسبة

(Bandura ,1963, P.11) . وبهذا فإن الأفراد المنحرفين عن القيم والمعايير الثقافية يكونون قد تنمذجوا على أنموذج مختلف لا يعد مقبولاً أو مرغوب فيه من قبل أفراد المجتمع (شلتز ،1983 ، ص 399).

3-نظرية التنشئة الاجتماعية الأساسية:-

يفترض أصحاب هذا المنظور بأن السلوكيات والمعايير يتم تعلمها في السياقات الاجتماعية ، وهذه السياقات يمكن تصنيفها إلى الأسرة ، والمدرسة ، وجماعة الإقران .

ويؤكد كل من اويتنغ وبيوفز 1998 Oetting & Beauvais واويتنغ ودونرميج 1998Oetting & Donnermeger على الروابط التي توجد بين الأبناء وآسرهم ، واقرأنهم ، ومدرستهم ، حيث تعمل هذه الروابط كقنوات يتم من خلالها نقل المعلومات حول المعايير والسلوكيات (kobus .2003 ,P . 3) .

ويشير كل من اويتنغ وبيوفز 1987Oetting & Beauvais إلى انه في حال فشل الوالدين في المحافظة على علاقات حميمة مع الأبناء ، فإنه من المرجح جداً أن ينساق هؤلاء الأبناء نحو جماعات الأقران المنحرفة ، وتبعاً لذلك تكون مشاركة هؤلاء الأبناء في أنشطة تعاطي المخدرات (Brown et al ,1993 ,P.469) .

4-نظرية الروابط الاجتماعية :-

يرى هيرشي 1969 Hirschi بأنه عندما تكون الروابط بين الشباب و الأشخاص الآخرين الموجودين في حياتهم قوية ،واتجاه التأثير يكون اجتماعياً ، ففي هذه الحالة لايتوقع من الشباب الانشغال بالسلوكيات من قبيل التدخين وتناول الكحول وتعاطي المخدرات ، وعندما تكون علاقات الشباب مع أسرهم ومدرستهم ضعيفة ، فإن دور جماعة الأقران يتصاعد ،فضلاً عن إمكانية أن تشتمل هذه الجماعات على الشباب الذي يروج للمعايير والسلوكيات المنحرفة وتعاطي المخدرات (kobus .2003 ,P. 39) .

ويشير هيرشي 1969 Hirschi أيضاً بأن التمثيل النفسي للوالدين في ذات الأبناء سوف يسهم في حفظ الأبناء من التصرف بشكل سيء(Stattin & Kerr,2000,P.1084) .

نتائج الأبحاث عن دور التنشئة الأسرية في ضبط سلوك الأبناء وتشكيل قيمهم

تشير البيانات بأن للتنشئة الاجتماعية الأسرية دور هام في ضبط سلوك الأبناء وإكسابهم القيم ، ففي هذا المجال أشارت دراسة الكبيسي عام 1988 التي أجريت في العراق إلى أن الأسلوب التسليط كان يتعرض له الأحداث الجانحون بشكل اكبر من الأساليب الأخرى ، ويليه أسلوب الإهمال او التساهل ، وأن هذه الأساليب ترتبط بسوء التكيف الشخصي والاجتماعي ، وهذا ما أيدته نتائج هذه الدراسة ، حيث أشارت إلى أن الأحداث الجانحين يتصفون بسوء التكيف الشخصي والاجتماعي (الكبيسي ،1988،ص 110-115).

ويستنتج الباحث من ذلك بان هؤلاء الأحداث الجانحين الذين تعرضوا إلى مثل هذه الأساليب في أسرهم جعلهم غير قادرين على التكيف الشخصي والاجتماعي الحسن وهذا يؤشر على عدم امتلاكهم المهارات الاجتماعية والقيم المقبولة اجتماعياً التي تمكنهم من التوافق النفسي والاجتماعي .

وفي دراسة أجراها كل من براون وآخرون Brown et al 1993 هدفت الى الكشف عن العلاقة بين الممارسات الوالدية التي يتبعها الآباء مع أبنائهم في سياقات عملية التنشئة الاجتماعية الممتثل بـ (حث الوالدين الأبناء على الانجاز الدراسي ، والمراقبة الو الدية، وإشراك الوالدين الأبناء في اتخاذ القرارات الأسرية)، فقد أشارت النتائج إلى أن حث الوالدين للأبناء على الانجاز الدراسي كان يرتبط ارتباطاً ايجابياً بالاعتماد على الذات وبمعدل درجاتهم المدرسية ، وان المراقبة الوالدية كانت ترتبط بشكل مباشر مع الاعتماد على الذات ، وارتبطت بصورة عكسية مع تعاطي المخدرات . وان المعدلات العالية من إشراك الأبناء في القرارات الأسرية كانت تنبأ بمعدلات عالية في الدرجات المدرسية ،والاعتماد على الذات ، وبالمستوى الأدنى من تعاطي المخدرات (Brown et al ,1993 ,P.477) .

أما دراسة كل من جين وآخرون Chen et al 1997 التي كانت تهدف إلى الكشف عن العلاقة بين الممارسات الوالدية الحازمة والتسلطية ، وبين الأداء المدرسي والاجتماعي في المجتمع الصيني ، فقد توصلت هذه الدراسة الى نتائج تشير بأن الممارسات الوالدية التسلطية كانت ترتبط ارتباطاً ايجابياً بالعدوانية و ترتبط سلبياً بقبول الأقران ، والقدرات او القابليات الاجتماعية ، والتحصيل الأكاديمي أو المدرسي .

وبالمقابل فإن الأسلوب الحازم كان يرتبط بشكل ايجابي مع التكيف المدرسي والاجتماعي ، ويرتبط سلباً مع مشكلات التكيف (Chen et al ,1997,P.855)

وفي دراسة أخرى سعت إلى التعرف على أنماط القدرة والتكيف الاجتماعي بين المراهقين من الأسر الحازمة ، والتسلطية ، والمهملة ، والرافضة . فقد توصل كل من لمبورن وآخرون Lamborn et al 1991 في هذه الدراسة إلى نتائج تشير إلى أن المراهقين ممن وصفوا آبائهم بأنهم حازمين سجلوا درجات أعلى في مقاييس القدرة النفسية والاجتماعية ،و درجات أدنى على مقاييس الاضطرابات النفسية والسلوكية . وان المراهقين من البيوت المهملة كانوا أكثر تكرار في تناول العقاقير وتعاطي المخدرات ، والتصرفات السيئة في المدرسة ، وأقل انهماك في الدراسة (Lamborn et al .1991,P. 1049) .

وجاءت دراسة دوربن وآخرون Durbin et al 1993 للكشف عن العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية وبين توجه المراهقين نحو جماعة محددة من الأقران ، إذ أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن أساليب المعاملة الوالدية كانت ترتبط بتوجه المراهقين نحو جماعات محدودة من الأقران ، وبشكل خاص ، وجد بأن المراهقين الذين كانوا قد وصفوا أبائهم بأنهم حازمين كانوا على الأرجح يرغبون بالعضوية في جماعات تتسم بالتوجه الايجابية نحو قيم الكبار بالإضافة إلى التفاعلات الاجتماعية الكافية مع جماعة الأقران مثل(جماعة الأقران الشعبيين أو الاجتماعيين ، جماعة الأقران الرياضيين ، جماعة الأقران الأذكياء ، و جماعة الأقران الاعتياديين أو الطبيعيين) . أما المراهقين الذين وصفوا أبائهم بأنهم مهملين فقد كان من المرجح لهم أن يوجهوا أنفسهم نحو جماعة الأقران المعادية بشكل مماثل للنظام ، وللنظام القيمي الموجة للكبار ,Durbin et al) (99 -92 .P, 1993 .

وفي دراسة تعد هي الأقرب للبحث الحالي ، أشارت نتائج دراسة كل من مارتنز وغارسيا Martinez &Garcia 2007إلى أن المراهقين بناء الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا للقيم التي تشير إلى التفاهم ، والتقدير ، والوئام ، وحماية مصالح كل الناس ، عن المراهقين من الأسر المتسلطة او الرافضة . وان المراهقين من الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا لقيم النزعة إلى فعل الخير ،عن المراهقين من الأسر المتسلطة او الرافضة ، وان المراهقين من الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا إلى قيم الامتثال التي تشير إلى احترام التصرفات والنزعات ، والاندفاعات التي يمكن أن تزعج أو تؤلم الآخرين وتنتهك التوقعات أو المعايير الاجتماعية . وان المراهقين من الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا إلى القيم التقليدية التي تشير إلى احترام التقاليد والالتزام بها ، وقبول العادات والأفكار التي تقدمها الثقافة التقليدية أو الدين ، عن المراهقين من الأسر المتسلطة او الرافضة .

وأخيراً فإن المراهقين من الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا إلى قيم الأمن التي تشير إلى الأمان ، والوئام ، والى استقرار المجتمع والعلاقات الاجتماعية ، عن المراهقين من أبناء الأسر المتسلطة او الرافضة .

كما أشارت نتائج هذه الدراسة أيضاً إلى أن استخدام الآباء لبعد (القبول . المشاركة) كان يرتبط بأستدخال الأبناء الأعلى للقيم (Martines &Garcia,2007,P. 339- 344)

مناقشة الأطر النظرية والدراسات السابقة

يتضح مما تقدم أهمية التنشئة الاجتماعية الأسرية وأهمية دور الوالدين في ضبط سلوك الأبناء واكتساب القيم ، فكما بينت العديد من النظريات التي فسرت هذه الظاهرة أن الوالدين يمتلكون قدراً كبيراً من التأثير على نشاطات الأبناء واتجاهاتهم فنرى نظرية التحليل النفسي تؤكد على أهمية تقمص الوالدين أو التوحد معهم وان محبة الوالدين وحنانهما وكفاءتهما من العوامل المؤثرة في عملية التقمص هذه العملية التي تلعب دوراً كبيراً في اكتساب الأبناء لقيم الآباء ، كما أن تقديم الآباء القدوة الحسنة والنموذج الأحسن له دور أيضاً في عملية اكتساب الأبناء لقيم الآباء ، وان أكثر القدوة فعالية هو حينما يتصف ذلك النموذج بالدفء والحنان والكفاءة وهو الأمر الذي تطرحه نظرية التعلم بالملاحظة . وان مثل هذه الصفات التي تشير إلى الدفء والحنان والكفاءة عادة ما يتسم بها الآباء الحازمون أو الديمقراطيون ، في حين تركز كل من نظرية التنشئة الاجتماعية الأساسية ونظرية الروابط الاجتماعية على العلاقات بين الآباء والأبناء ودور هذه العلاقات في إكساب الأبناء السلوكيات والمعايير الاجتماعية ، وإذا ما كانت هناك علاقات اجتماعية حميمية بين الآباء وأبنائهم فان ذلك يمكن أن يمنع الأبناء من الانسياق نحو جماعة الإقران المنحرفة أي بمعنى أن ينخرط الأبناء في الأنشطة الأكاديمية أو الرياضية أو الاجتماعية ضمن جماعة من الإقران ذات التوجهات و المطامح العلمية أو الرياضية أو الاجتماعية التي تمارس الأنشطة المقبولة اجتماعياً والتي تدعم و تعزز تلك القيم التي يؤكد عليها آباؤهم .

وفي حال فشل الآباء في المحافظة على علاقات حميمة مع الأبناء فان من المرجح جداً أن ينساق الأبناء إلى جماعات الإقران المنحرفة وتبعاً لذلك تكون مشاركة مثل هؤلاء الأبناء في الأنشطة المنحرفة أمراً متوقعاً وتصبح مثل هذه الجماعة جماعة مرجعية لهؤلاء الأبناء فيشتركون معها في الأنشطة والميول والاهتمامات ، وبذلك تكون قيم هذه الجماعة جزءاً من قيم هؤلاء الأبناء ، وقد يكون الدافع إلى ذلك هو تحقيق القبول الاجتماعي أو إحراز المكانة أو المنزلة بين الأقران .

وتشير الأدبيات والدراسات التي تناولت أساليب المعاملة الوالدية في تنشئة الأبناء إلى أن أسلوب الحزم هو الأسلوب الأمثل في تنشئة الأبناء ،و يتسم الآباء الذين يتبعون هذا النوع من الأساليب بالمستوى العالي من الاهتمام والمشاركة الفاعل في حياة الأبناء ويتسم اتصال الآباء الذين يتبعون هذا الأسلوب في التعامل مع بأبنائهم بالصراحة و الانفتاح وعلى مستوى عال ، وتكون هناك مساحة كبيرة من الحوار المشترك والمناقشة المنطقية بين الآباء و أبنائهم فيكون الأبناء طرفاً شريكاً في اتخاذ القرارات الأسرية وهذا ما يجعل الأبناء يتمتعون باستقلالية ولا يخضعوا لضغط جماعة الإقران المنحرفين فيكون مثل هؤلاء الأبناء محصنين ليس من السهل انقيادهم لممارسة السلوك المنحرف أو الشاذ أما في حال فشل الآباء في أقامة علاقات حميمة مع الأبناء وفشلهم في المحافظة على علاقات حميمة مع أبنائهم فان من شأن ذلك أن يرجح انسياق أبنائهم إلى جماعة الإقران المنحرفة أو المضادة للمجتمع فيشتركون في نشاطاتها ويمتثلون لمعاييرها وتصبح هذه الجماعة جماعة مرجعية لهم ، هذا من ناحية الأطر النظرية المفسرة لهذه الظاهرة ، أما بالنسبة للدراسات والأبحاث التي بحثت في هذا الميدان ،فإنها من ناحية أخرى قد أشارت نتائجها إلى جملة من المؤشرات ، إذ توصلت دراسة الكبيسي عام 1988 في العراق إلى أن أسلوب الحزم يقود الأبناء إلى التكيف النفسي والاجتماعي الحسن ، وجاءت دراسة لمبورن Lamborn et al 1991 بنتائج مماثله إذ أشارت إلى أن المراهقين ممن وصفوا آباءهم بأنهم حازمون سجلوا مستوى عالياً في مقاييس القدرات النفسية والاجتماعية ،و سجلوا مستوى متدنياً من الاضطرابات النفسية والسلوكية ، كما توصلت دراسة كل من جين وآخرون Chen et al 1997 إلى نتائج مماثله إذ أشارت إلى أن الممارسات الوالدية الحازمة كانت ترتبط بشكل ايجابي مع التكيف والأداء المدرسي والاجتماعي الحسن ، وترتبط سلباً مع مشكلات سوء التكيف .

فضلاً عن أن هناك الكثير من الأدبيات التي تدعم هذه النتائج فمنها ما يشير إلى أن أسلوب المعاملة الوالدية الحازم يرتبط بالسلوك الاجتماعي مع الأبناء (Santrock,2000 , P. 155) .وأن أبناء الأسر الحازمة قد سجلوا مستوى عالياً في مقاييس القدرة الاجتماعية ، والتحصيل والتطور الاجتماعي ، وتحقيق الذات ، والصحة النفسية (Lamborn et al 1991,P. 1049) .

ويرى الباحث في ذلك دلالات ومؤشرات تشير إلى أن المراهقين الذين سجلوا مستوى عال من القدرة والتكيف النفسي والاجتماعي والأكاديمي وفي مجال الصحة النفسية لا يمكن أن يكون ذلك من دون أن يكون انسجام و تناغم بين قيم الأبناء و قيم الآباء التي بدورها تمثل قيم المجتمع الذين يعيشون فيه ، وألا كيف يمكن أن يحققوا هذا المستوى العالي من التكيف النفسي والاجتماعي والمستوى العالي من الصحة النفسية التي هي بدورها تشير بمعناها إلى التوافق النفسي والاجتماعي .

وهناك دراسة اقرب إلى البحث الحالي وتدعم هذه النتائج ،فقد أشارت نتائج كل من دوربن وآخرون Durbin et al 1993 إلى أن المراهقين الذين وصفوا آباءهم بأنهم حازمين كانوا على الأرجح يرغبون بالعضوية في جماعة الإقران التي تتسم بالتوجه الايجابي نحو قيم الكبار ، بالإضافة إلى التفاعل الاجتماعي الكافي مع جماعة الإقران المتمثلة بـ (جماعة الإقران الاجتماعيين ، جماعة الإقران الرياضيين ، جماعة الإقران الأذكياء) ، أما المراهقون الذين وصفوا آباءهم بأنهم مهملون فإن من المرجح لهم أن يتوجهوا نحو جماعة الأقران المعادية بشكل مماثل للنظام ، وللنظام القيمي الموجه للكبار . أما نتائج دراسة كل من مارتنز وغارين Martines &Garcia 2007 التي يعدها الباحث الأحدث والأقرب للبحث الحالي ،فقد أشارت إلى أن أبناء الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا للقيم التي تشير إلى التفاهم ، والتقدير ، والوئام ، وحماية مصالح كل الناس ،عن المراهقين أبناء الأسر المتسلطة أو الرافضة . وان المراهقين من الأسر الحازمة أعطوا أولوية عليا لقيم الميل إلى فعل الخير ، والى قيم الانسجام التي تشير إلى احترام الآخرين ، وأعطوا أولوية عليا إلى القيم التقليدية التي تشير إلى احترام التقاليد و الالتزام بها ، و قبول العادات و الأفكار التي تطرحها الثقافة التقليدية أو الدينية .كما أعطوا أولوية عليا إلى القيم التي تدعوا إلى الأمن والأمان وإشاعة روح المحبة والعلاقات الاجتماعية الإيجابية ، عن المراهقين من الأسر المتسلطة أو الرافضة .

وأشارت هذه الدراسات أيضا إلى أن اعتماد الإباء لبعد (القبول _ المشاركة) في التعامل مع الأبناء ، سوف يرتبط باستدخال الأبناء الأعلى للقيم .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن المعاملة الوالدية الحازمة بكل أبعادها يمكن أن تسهم في غرس القيم الاجتماعية والعلمية والإنسانية السامية في نفوس الأبناء وتجعلهم أكثر توافقاً نفسياً وانسجاماً مع قيم المجتمع وثقافته ،في حين أن المعاملة الوالدية السيئة ، يمكن أن تسهم في غرس روح العدائية والاتجاهات المضادة للمجتمع التي تدفع بالأبناء نحو الانحراف والجريمة وان جزء كبير مما يظهر في المجتمع من إجرام أو انحرف يمكن أن يكون نتيجة لذلك .

تطبيقات عملية

استناداً إلى ما جاء في نتائج الأبحاث و الدراسات نقدم الاقتراحات التالية:_

1. نشر الوعي التربوي بين الآباء من خلال وسائل الأعلام و تبصيرهم بأبعاد الأسلوب الديمقراطي أو الحازم والإشارة إلى النتائج الايجابية التي تنعكس على حياة الأبناء النفسية والاجتماعية والأكاديمية ، وإيضاح الآثار السلبية التي تتركها أساليب التنشئة الاجتماعية السيئة و الدور السلبي الذي يمكن أن يلعبه الآباء في ذلك .
2. العمل على جعل المدرسة جزء من المجتمع وإشراكها في عملية التنشئة الاجتماعية وتوجيه الطلبة بالتوجيهات والإرشادات التي تسهم في تنمية شخصية الطالب وتجعله أكثر انسجاماً مع القيم والمعايير الاجتماعية، ومراقبة الحالات المنحرفة أو الشاذة لغرض معالجتها وتصحيح مسارها .

3. اهتمام الآباء بصداقات أبنائهم ،نظراً لأهمية جماعة الأصدقاء أو الأقران في عملية التنشئة الاجتماعية ، وتوجيه نشاطات الأبناء ومشاركاتهم نحو جماعة الأقران التي تدعم وتعزز قيم الآباء واتجاهاتهم .

4. أشراك المؤسسات الدينية والاجتماعية في العملية التربوية من خلال القنوات الإعلامية و القنوات الأخرى وتقديم الخطاب الديني أو الاجتماعي الذين يركز على القيم والمثل العليا التي سار عليها الأنبياء (ع) والأئمة الأطهار ، ومطالبة الأبناء الالتزام بهذه القيم والاقتداء بسيرتهم .

مقترحات منهجية

1. إجراء دراسات بمنهجيات أكثر ضبطاً فيما يتعلق بالمتغيرات التي تتناول عملية التنشئة الأسرية وتأثيرها على قيم الأبناء تبعاً لـ: المستوى الاقتصادي ، المستوى الثقافي الاجتماعي للوالدين ، عمل الوالدين ، .....الخ.

2. أجراء دراسات في هذا المجال لمعرفة مدى توجه المراهقين نحو قيم الوالدين ، وقيم جماعة الأقران .

3. أجراء دراسة لمعرفة مدى تأثر قيم المراهقين بقيم الوالدين وقيم الأقران من المراهقين في الأنموذج كما يعرضه التلفاز .

4. أجراء دراسة ميدانية عبر ثقافية في عدد من المجتمعات العربية للتعرف على الأساليب التربوية الأكثر شيوعا أو أستخداما وعلاقتها بتصورات الأبناء عن الحياة الأسرية المستقبلية .

المصـــادر العربية و الأجنبية

1. -إسماعيل ، محمد عماد الدين (1986) : الأطفال مرآة المجتمع ،الكويت ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب .
2. -حسن ، محمود شمال (2001) :سيكولوجية الفرد في المجتمع ،الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الآفاق العربية .
3. -الدباغ ، فخري (1983) : أصول الطب النفسي ، الطبعة الثالثة ،بيروت ، دار الطليعة .
4. -شلتز ، ادوان (1983) :نظريات الشخصية ، ترجمة حمد دلي الكربولي و عبد الرحمن القيسي ،وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، مطبعة جامعة بغداد .
5. -صالح ،قاسم حسين (2002) :إشكالية العلاقة بين السلطة و الفرد في المجتمع العربي ،المؤتمر العلمي العربي الأول .
6. -عباس ،مضر طه (1988) : النمو الأخلاقي للأحداث الأسوياء و العدوانيين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب .
7. -العطار ، أسعد تقي (1995) :اتجاهات الوالدين نحو أبناءهم من ذوي قدرات الإدراك فوق الحسي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية .
8. -الكبيسي ، عبد الكريم عبيد (1988) : قياس التكيف الشخصي و الاجتماعي لدى الأحدث الجانحين و علاقته بالمعاملة الوالدية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ،الجامعة المستنصرية .
9. -مسن ،بول و كونجر ،جون و كاجان ، جيروم (1986) :أسس سيكولوجية الطفولة و المراهقة ،ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة ، الطبعة الأولى ، الكويت ، مكتبة الفلاح .
10. -منصور ، طلعت و بشاي ،حليم (1983) : دراسات ميدانية في النضج الخلقي عند الناشئة في الكويت ، الكويت ، منشورات مجلة العلوم الاجتماعية .
11. -هول ،ك و لندزي ،ج (1969) : نظريات الشخصية ،ترجمة أحمد فرج ، قدوري محمود ، لطفي محمد ، القاهرة دار الفكر العربي .
12. -Aunola ,K. ,Stattin , H.,Nurmi ,J. (2000): Parenting Styles and adolescents achievement strategies. Journal of

13. Adolescence,23,205-222.

a. -Bee , H., (2000) : The Developing Child , (9th ed) .

14. Bandura , A . (1963) : Social learning theory , Prentic-Hall, New Jersey.

15. -Brown , B. B. , Mounts, N. , Lamborn, S. D. , & Steinberg , L. (1993) : Parenting practices and peer group affiliation in adolescence . Child Development , 64 , 467 – 482 .

16. -Chen ,X., Dong ,Q. and Zhou ,H. (1997) : Authoritative and Authoritarian Parenting Practices and Social and School Performance in Chinese Children, International Journal of Behavioral Development ,21 ,855-873 .

17. -Durbin , L. D. , Darling , N. , Steinberg , L. and Brown , B. B. (1993) : Parenting Style and peer group membership among European-American adolescents . Journal of research on adolescence ,3 (1) , 87 – 100.

18. -Hjelle, L.A.,& Ziegler ,D.J.(1992) :Personality Theories , (3th ed) , New York , McGraw-Hill, Inc .

19. Lamborn .S.D., Mounts .N.S., Steinberg .L., and Dornbusch .S.M.(1991) :Patterns of Competence and Adjustment among; Adolescents from Authoritative, Authoritarian, Indulgent, and Neglectful Families . Child Development ,62,1049-1065.

20. -Martinez ,I . &Garcia ,J .F. (2007) : Impact of Parenting Styles on Adolescents' Self-Esteem and Internalization of Values in Spain , The Spanish Journal of Psychology ,10 (2) ,338-348 .

21. Muzi , M. (2000) : Child Development . New Jersey : prentice – Hall , Inc.

22. -Kobus , K .(2003) : Peers and adolescent smoking . Society for the Study of Addiction to Alcohol and Other Drugs .

23. - Santrock , J . (2000) : Adolescence , (8th ed) , New York : McGraw – Hill Co.

24. Stattin, H., & Kerr, M. (2000): Parental monitoring: A reinterpretation. Child Development, 71,1072-1085 .